**اسم المادة الدراسية باللغة العربية : عصر الرسالة**

**اسم المادة الدراسية باللغة الانكليزية : History of the Prophetical Period**

**اسم المحاضرة : أهم الأحداث بعد غزوة أحد إلى غزوة الخندق**

**اسم التدريسي : أ.د.مظهر عبد علي**

**المستوى الدراسي : الأول**

**الدراسة : الصباحية**

**الأسبوع : التاسع**

**غزوة حمراء الأسد :**

نجد في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم تابع أخبار المشركين بواسطة بعض أتباعه حتى بعد رجوعهم إلى مكة ، وبلغه مقالة أبي سفيان يلوم فيها جنده لكونهم لم يشفوا غليلهم من محمد وجنده ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما انصرف أبو سفيان والمشركون من أحد وبلغوا الروحاء قال أبو سفيان: لا محمداً قتلتم ولا الكواعب أردفتم , شر ما صنعتم ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفيد هذه الرواية خبر استطلاع الرسول صلى الله عليه وسلم أعداءه حتى بعد انتهاء المعركة ؛ وذلك لكي يطمئن على عدم مباغتتهم له ، وعندما سمع ما كان تعزم عليه قريش من العودة إلى المدينة خرج بمن حضره يوم أحد من المسلمين دون غيرهم إلى حمراء الأسد .

قال ابن إسحاق: كان أحد يوم السبت للنصف من شوال، فلما كان الغد يوم الأحد سادس عشر من شوال: أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو، وألا يخرج معنا إلا من حضر بالأمس ، فاستأذنه جابر بن عبد الله في الخروج معه فأذن له ، وإنما خرج مرهبًا للعدو، وليظنوا أن الذي أصابهم لم يوهنهم عن طلب عدوهم ، وقد استجاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لنداء الجهاد حتى الذين أصيبوا بالجروح ، فهذا رجل من بني عبد الأشهل يقول: شهدت أحداً أنا وأخ لي فرجعنا جريحين ، فلما أذَّن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو قلت لأخي وقال لي: أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ والله ما لنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت أيسر جرحاً منه ، فكان إذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة (نوبة) , حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد ، واقترب بجنوده من جيش المشركين فأقام فيه ثلاثة أيام يتحدى المشركين , فلم يتشجعوا على لقائه ونزاله ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بإشعال النيران فكانوا يشعلون في وقت واحد خمسمائة نار.

وأقبل معبد بن أبي معبد الخزاعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فأمره أن يلحق بأبي سفيان ، فيخذله ، فلحقه بالروحاء ولم يعلم بإسلامه ، فقال: ما وراءك يا معبد؟ فقال: محمد وأصحابه ، فقد تحرقوا عليكم ، وخرجوا في جمع لم يخرجوا في مثله ، وقد ندم من كان تخلف عنهم من أصحابهم ، فقال: ما تقول؟ فقال: ما أرى أن ترتحل حتى يطلع أول الجيش من وراء هذه الأكمة ، فقال أبو سفيان: والله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم ، قال معبد: فإني أنهاك عن ذلك ، والله لقد حملني ما رأيت أن قلت فيه أبياتاً من شعر: قال: وما قلت؟ قال: قلت:

كادت تهد من الأصوات راحلتي إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل

تردي بأسد كرام لا تنابلة عند اللقاء ولا ميل معازيل

فظلت عدوًا أظن الأرض مائلة لما سمو برئيس غير مخذول

فقلت: ويل ابن حرب من لقائكم إذا تغطمطت البطحاء بالجبل

إني نذير لأهل البسل ضاحية لكل ذي أُربة منهم ومعقول

من جيش أحمد لا وخش قنابله وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه ، وحاول أبو سفيان أن يغطي انسحابه هذا بشن حرب نفسية على المسلمين ، لعله يرهبهم فأرسل مع ركب عبد القيس -وكانوا يريدون المدينة للميرة- رسالة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفادها ، أن أبا سفيان وجيشه قد أجمعوا على السير إليه وإلى أصحابه ليستأصلهم من الوجود ، وواعد أبو سفيان الركب أن يعطيهم زبيباً عندما يأتوه في سوق عكاظ ، ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان، فقال هو والمسلمون: حسبنا الله ونعم الوكيل ، واستمر المسلمون في معسكرهم، وآثرت قريش السلامة والأوبة ، فرجعوا إلى مكة ، وبعد ذلك عاد المسلمون إلى المدينة بروح قوية متوثبة، غسلت عار الهزيمة ، ومسحت مغبة الفشل ، فدخلوها أعزة رفيعي الجانب ، عبثوا بانتصار المشركين ، وهزوا أعصابهم ، وأحبطوا شماتة المنافقين واليهود في المدينة ، وأشار القرآن الكريم إلى هذه الحرب الباردة ، وسجل ظواهرها بقوله تعالى: (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ - الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ - فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ - إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ) [آل عمران: 172 - 175] ووقع في أسر النبي صلى الله عليه وسلم قبل رجوعه إلى المدينة أبو عزة الجمحي الشاعر فقتل صبراً ؛ لأنه أخلف وعده للرسول صلى الله عليه وسلم بأن لا يقاتل ضده عندما منَّ عليه ببدر وأطلقه , فعاد فقاتل في أحد ، وقد حاول أبو عزة أن يتخلص من القتل ، وقال: يا رسول الله أقلني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا والله ، لا تمسح عارضيك بمكة بعدها ، وتقول: خدعت محمدًا مرتين ، اضرب عنقه يا زبير» فضرب عنقه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين» فصار هذا الحديث مثلاً ولم يسمع قبل ذلك ، ولم يؤسر من المشركين سوى أبي عزة الجمحي .

وأما عدد القتلى من المسلمين في أحد فقد انجلت المعركة عن سبعين شهيداً من المسلمين ، ويؤيد هذا تفسير قوله تعالى: (أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أنها نزلت تسلية للمؤمنين عمن أصيب منهم يوم أحد ، قال ابن عطية رحمه الله: وكان المشركون قد قتلوا منهم سبعين نفراً ، وكان المسلمون قد قتلوا من المشركين ببدر سبعين وأسروا سبعين , أما عدد الذين قتلوا يوم أحد من المشركين فاثنان وعشرون قتيلاً ، كان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم لملاحقة المشركين في غزوة حمراء الأسد يهدف لتحقيق مجموعة من المقاصد المهمة منها:

1- ألا يكون آخر ما تنطوي عليه نفوس الذين خرجوا يوم أحد هو الشعور بالهزيمة .

2- إعلامهم أن لهم الكرة على أعدائهم متى نفضوا عنهم الضعف والفشل واستجابوا لدعوة الله ورسوله .

3- تجرئة الصحابة على قتال أعدائهم .

4- إعلامهم أن ما أصابهم في ذلك اليوم إنما هو محنة وابتلاء اقتضتها إرادة الله وحكمته وأنهم أقوياء ، وأن خصومهم الغالبين في الظاهر ضعفاء .

كما أن في خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى حمراء الأسد إشارة نبوية إلى أهمية استعمال الحرب النفسية للتأثير على معنويات الخصوم ، حيث خرج صلى الله عليه وسلم بجنوده إلى حمراء الأسد ، ومكث فيها ثلاثة أيام ، وأمر بإيقاد النيران فكانت تشاهد من مكان بعيد وملأت الأرجاء بأنوارها ، حتى خيل لقريش أن جيش المسلمين ذو عدد كبير لا طاقة لهم به فانصرفوا ، وقد ملأ الرعب أفئدتهم ، (ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه حتى عسكروا بحمراء الأسد ، وكان المسلمون يوقدون تلك الليالي خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد ، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه فكبت الله تعالى بذلك عدوهم) .

**سرية إلى بني أسد :**

بلغت النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة عيونه المنبثة في الجزيرة العربية أخبار الاستعدادات التي قام بها بنو أسد بن خزيمة بقيادة طليحة الأسدي من أجل غزو المدينة طمعا في خيراتها ، وانتصارا لشركهم ، ومظاهرة لقريش في عدوانها على المسلمين ، فسارع النبي صلى الله عليه وسلم إلى تشكيل سرية في مائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار وأمَّر عليهم أبا سلمة بن عبد الأسد ، المخزومي وعقد له لواء ، وقال له: «سر حتى تنزل أرض بني أسد ، فأغر عليهم قبل أن تتلاقى عليك جموعهم» ، فسار إليهم أبو سلمة في المحرم فأغار على أنعامهم، ففروا من وجهه فأخذها ، ولم يلق عناء في تشتيت أعداء الإسلام ، وعاد إلى المدينة مظفراً ، وأبو سلمة يعد من السابقين إلى الإيمان ومن خيرة الرعيل الأول ، وقد عاد من هذه الغزوة متعباً ، إذ نَغَر جرحه الذي أصابه في (أحد) فلم يلبث حتى مات .

ونلحظ في هذه السرية عدة أمور منها: الدقة في التخطيط الحربي عند النبي صلى الله عليه وسلم حيث فرق أعدائه قبل أن يجتمعوا , فذهلوا لمجيء سرية أبي سلمة وهم يظنون أن المسلمين قد أضعفتهم وقعة أحد وأذهلتهم عن أنفسهم ، فأصيب المشركون بالرعب من المسلمين ، ووهنت عزيمتهم ، وانشغلوا بأنفسهم عن مهاجمة المدينة ، وتظهر دقة المسلمين في الرصد الحربي واختيارهم التوقيت الصحيح والطريق المناسب ، حيث وصلوا إلى الأعداء قبل أن يعلموا عنهم أي شيء على الرغم من بعد المسافة ، وكان هذا هو أهم عوامل نجاح المسلمين في هذه السرية ، وتركت هذه السرية في نفوس الأعداء شعوراً مؤثراً على معنوياتهم ، ألا وهو قناعتهم بقدرة المسلمين على الاستخفاء والقيام بالحروب الخاطفة المفاجئة تجعلهم يمتلئون رعبا منهم ويتوقعون الإغارة في أي وقت ، وهذا الشعور حملهم على الاعتراف بقوة المسلمين ، ومسالمتهم .

**إجلاء يهود بني النضير:**

أصاب يهود المدينة ، الخوف والرعب ، طيلة الفترة التي تفصل بين مقتل كعب بن الأشرف ، وبين معركة أحد التي جرت في شوال سنة 3هـ ، ولكن الهزيمة التي حلت بالمسلمين في تلك المعركة ، أحيت في نفوس المشركين والمنافقين الأمل من جديد ، بتحقيق مطامعهم وأغراضهم ، وأزالت من قلوب اليهود الهلع على المصير، ومما ساهم في تبديد هذا الهلع عندهم مقتل أصحاب الرجيع ، وبئر معونة , وبذلك لم يدم خوف اليهود طويلا وعادوا إلى أساليب الدس والمكر والخداع ، وشرعوا في حشد حصونهم بالسلاح والعتاد للانقضاض على المسلمين ودولتهم , ثم صمموا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم والغدر به .

**تاريخ الغزوة وأسبابها :**

كانت غزوة بني النضير كانت بعد أحد في ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة ، وهناك مجموعة من الأسباب حملت النبي صلى الله عليه وسلم على غزوة بني النضير وإجلائهم من أهمها:

1- نَقْض بني النضير عهودهم التي تحتم عليهم ألا يؤووا عدواً للمسلمين ، ولم يكتفوا بهذا النقض ، بل أرشدوا الأعداء إلى مواطن الضعف في المدينة ، وقد حصل ذلك في غزوة السويق حيث نذر أبو سفيان بن حرب حين رجع إلى مكة بعد غزوة بدر، نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو المدينة ، فلما خرج في مائتي راكب قاصدًا المدينة قام سيد بني النضير سلام بن مشكم بالوقوف معه وضيافته وأبطن له خبر الناس ، ولم تكن مخابرات المدينة غافلة عن ذلك .

قال موسى بن عقبة صاحب المغازي: (كانت بنو النضير قد دسوا إلى قريش وحصونهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودلوهم على العورة) .

2- محاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم: خرج النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه عن طريق قباء إلى ديار بني النضير يستعينهم في دية القتيلين العامرين اللذين ذهبا ضحية جهل عمرو بن أمية الضمري بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما ؛ وذلك تنفيذاً للعهد الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين بني النضير حول أداء الديات ، وإقراراً لما كان يقوم بين بني النضير وبين بني عامر من عقود وأحلاف .

استقبل بنو النضير النبي صلى الله عليه وسلم بكثير من البشاشة والكياسة ، ثم خلا بعضهم إلى بعض يتشاورون في قتله والغدر به ، ويبدو أنهم اتفقوا على إلقاء صخرة عليه صلى الله عليه وسلم ، من فوق جدار كان يجلس بالقرب منه ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان برعاية الله وحفظه أدرك مقاصد بني النضير، إذ جاءه الخبر من السماء بما عزموا عليه من شر، فنهض وانطلق بسرعة إلى المدينة ، ثم تبعه أصحابه بعد قليل .

لم تكن مؤامرة بني النضير، التي أفشلها الله سبحانه وتعالى تستهدف شخص النبي صلى الله عليه وسلم فحسب ، بل كانت تستهدف كذلك دولة المدينة والدعوة الإسلامية برمتها ؛ لذا صمم محمد صلى الله عليه وسلم على محاربة بني النضير، الذين نقضوا العهد والمواثيق معه وأمر أصحابه بالتهيؤ لقتالهم والسير إليهم .

هذه الأسباب وغيرها أدت إلى غزوة بني النضير، وقد ذكَّر القرآن الكريم المؤمنين بهذه النعمة الجليلة وكيف نجى الله نبيه صلى الله عليه وسلم من مكر يهود بني النضير, قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) [المائدة: 11] .

**إنذار بني النضير بالجلاء وحصارهم :**

سجلت معظم كتب السيرة النبوية خبر إنذار النبي صلى الله عليه وسلم لبني النضير بالجلاء خلال عشرة أيام ، وقد أرسل صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة إليهم ، وقال له: «اذهب إلى يهود بني النضير، وقل لهم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلني إليكم أن اخرجوا من بلادي؛ لقد نقضتم العهد الذي جعلت لكم مما هممتم به من الغدر، وقد أجلتكم عشراً ، فمن رُئي بعد منكم ضربت عنقه» ، ولم يجدوا جواباً يردون به سوى أن قالوا لمحمد بن مسلمة: يا محمد، ما كنا نظن أن يجيئنا بهذا رجل من الأوس, فقال محمد: تغيرت القلوب ، ومحا الإسلام العهود ، فقالوا: نتحمل , فمكثوا أياماً يعدون العدة للرحيل ، وفي تلك المدة أرسل إليهم عبد الله بن أبي ابن سلول من يقول لهم: اثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم ، وإن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم , ولا تخرجوا فإن معي من العرب وممن انضوى إلى قومي ألفين ، فأقيموا , فهم يدخلون معكم حصونكم ، ويموتون عن آخرهم قبل أن يصلوا إليكم ، فعادت لليهود بعض ثقتهم وتشجع كبيرهم (حيي بن أخطب) وأرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم جدي بن أخطب يقول له: إنا لن نريم -أي لن نبرح- دارنا فاصنع ما بدا لك ، فكبَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبَّر المسلمون معه ، وقال: «حاربت يهود» .

وانقضت الأيام العشرة ولم يخرجوا من ديارهم ، فتحركت جيوش المسلمين صوبهم، وضربت عليهم الحصار لمدة خمس عشرة ليلة ، وأمر صلى الله عليه وسلم بحرق نخيلهم، وقضى بذلك على أسباب تعلقهم بأموالهم وزروعهم , وضعفت حماستهم للقتال ، وجزعوا وتصايحوا: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من يفعله , فما بال قطع النخيل وتخريبها؟ وألقى الله في قلوبهم الرعب ، وأدرك بنو النضير أن لا مفر من جلائهم ، ودب اليأس في قلوبهم وخاصة بعد أن أخلف ابن أبي وعده بنصرهم ، وعجز إخوانهم أن يسوقوا إليهم خيرًا أو يدفعوا عنهم شراً , فأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يلتمسون منه أن يؤمنهم حتى يخرجوا من ديارهم ، فوافقهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال لهم: «اخرجوا منها ، ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة - وهي الدروع والسلاح- فرضوا بذلك» ، ونقض اليهود سقف بيوتهم وعمدها وجدرانها لكي لا ينتفع منها المسلمون ، وحملوا معهم كميات كبيرة من الذهب والفضة حتى أن سلام بن أبي الحقيق وحده حمل جلد ثور مملوءاً ذهباً وفضة ، وكان يقول: هذا الذي أعددناه لرفع الأرض وخفضها ، وإن كنا تركنا نخلاً ففي خيبر النخل ، وحملوا أمتعتهم على ستمائة بعير، وخرجوا ومعهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن من خلفهم , حتى لا يشمت بهم المسلمون , فقصد بعضهم خيبر وسار آخرون إلى أذرعات الشام ، وقد تولى عملية إخراجهم من المدينة محمد بن مسلمة ، بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من أشرافهم الذين ساروا إلى خيبر سلام بن أبي الحقيق ، وحيي بن أخطب ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، فلما نزلوها دان لهم أهلها .

**غزوة ذات الرقاع**

**تاريخها وأسبابها , ولماذا سميت بذات الرقاع؟ :**

اختلف أهل المغازي والسير في تاريخ هذه الغزوة ، وقد ذهب البخاري إلى أنها كانت بعد خيبر، وذهب ابن إسحاق إلى أنها بعد غزوة بني النضير، وقيل بعد الخندق سنة أربع ، وعند الواقدي وابن سعد أنها كانت في المحرم سنة خمس .

وقد ذكر البوطي بأن تاريخ الغزوة كان في السنة الرابعة للهجرة بعد مرور شهر ونصف تقريباً على إجلاء بني النضير، وقال بأن هذا الرأي ذهب إليه أكثر علماء السير والمغازي , وإليه ذهبت .

وأما سبب الغزوة ما ظهر من الغدر لدى كثير من قبائل نجد بالمسلمين ، ذلك الغدر الذي تجلى في مقتل أولئك الدعاة السبعين الذين خرجوا يدعون إلى الله تعالى , فخرج صلى الله عليه وسلم قاصدًا قبائل محارب وبني ثعلبة ، وقد ذكر الدكتور محمد أبو فارس أن قادمًا قدم المدينة فأخبر المسلمين أن بني محارب وبني ثعلبة من غطفان قد جمعوا الجموع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أن سار إليهم في عقر دارهم على رأس أربعمائة مقاتل وقيل سبعمائة مقاتل ، ولما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ديارهم خافوا وهربوا إلى رؤوس الجبال ، تاركين نساءهم وأطفالهم وأموالهم ، وحضرت الصلاة فخاف المسلمون أن يغيروا عليهم ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف ، وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .

وقد حققت هذه الحملة العسكرية أغراضها , وتمكنت من تشتيت الحشد الذي قامت به غطفان لغزو المدينة فأرهب تلك القبائل وألقى عليها درساً بأن المسلمين ليسوا قادرين فقط على سحق من تحدثه نفسه بالاقتراب من المدينة , بل قادرين على نقل المعركة إلى أرض العدو نفسه وضربه في عقر داره .

وسميت بذات الرقاع ؛ لأنهم كانوا يربطون على أرجلهم من الخرق والرقاع اتقاء الحر، وقيل: لأنهم رقعوا راياتهم , وقيل لشجرة كانت اسمها ذات الرقاع , وقيل: لأن المسلمين نزلوا في أرض كان فيها بقع بيض وسود مختلفة ، فسميت لذلك ، والصحيح: أنهم كانوا يربطون على أرجلهم من الخرق ، فقد روى الشيخان بسنديهما عن أبي موسى الأشعري قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نتعقبه فنقبت أقدامنا ، ونقبت قدماي ، وسقطت أظفاري ، وكنا نَلُفُّ على أرجلنا الخرق , فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب بالخرق على أرجلنا .

**غزوة دومة الجندل :**

كانت غزوة دومة الجندل من ضمن حركة تثبيت أركان الدولة الإسلامية , فبعد غزوة بدر الموعد ، تحركت القوات الإسلامية بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو قضاعة التي كانت تنزل شمال قبائل أسد وغطفان ، وفي حدود الغساسنة الموالين للدولة الرومية (بيزنطة) ولها إشراف على سوق (دومة الجندل) الشهير (على بعد 450 كيلومتراً شمال المدينة) , كانت هذه القبيلة أول من احتك بها المسلمون فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة المعروفة بغزوة دومة الجندل (ربيع الأول 5هـ/ أغسطس 626م) فقد وصلت الأنباء إلى المدينة بتجمع بعض القبائل عند دومة الجندل للإغارة على القوافل التي تمر بهم ، والتعرض لمن في القافلة بالأذى والظلم ، كما وردت الأنباء بأنهم يفكرون في القرب من المدينة لعجم عودها .

إن دومة الجندل تعتبر بلادًا نائية بالنسبة للمدينة المنورة ؛ لأنها تقع على الحدود بين الحجاز والشام ، وفي منتصف الطريق بين البحر الأحمر والخليج العربي ، وهي على مسيرة ست عشرة ليلة من المدينة ، ولو أن المسلمين أغفلوا أمرها ، وسكتوا على وجود هذا التجمع فيها ما لامهم أحد ولا ضرهم هذا التجمع في شيء على المدى القريب , ولكن النظرة السياسية البعيدة والعقلية العسكرية الفذة أوجبت على المسلمين أن يتحركوا لفض هذا التجمع والقضاء عليه قبل أن يستفحل شأنه للأسباب الآتية ، وكذلك بغية تحقيق بعض الأهداف:

1- لأن السكوت على هذا التجمع وما شاكله يؤدي بلا شك إلى تطوره واستفحاله ، ثم يؤدي بعد ذلك إلى إضعاف قوة المسلمين وإسقاط هيبتهم ، وهو الأمر الذي يجاهدون من أجل استرداده .

2- وجود مثل هذا التجمع في الطريق إلى الشام قد يؤثر على الوضع الاقتصادي للمسلمين ، فلو أن المسلمين سكتوا على هذا التجمع لتعرضت قوافلهم أو قوافل القبائل التي تحتمي بهم للسلب والنهب , مما يضعف الاقتصاد ، ويؤدي إلى حالة من التذمر والاضطراب .

3- وهناك أمر أهم من الأمرين السابقين وهو فرض نفوذ المسلمين على هذه المنطقة كلها ، وإشعار سكانها بأنهم في حمايتهم وتحت مسئوليتهم ، لذلك فهم يؤمنون لهم الطرق ، ويحمون لهم تجارتهم , ويحاربون كل إرهاب من شأنه أن يزعجهم أو يعرضهم للخطر.

4- حرمان قريش من أي حليف تجاري قد يمدها بما تحتاج من التجارة ، وصرف أنظارهم عن هذه المنطقة التجارية المهمة ؛ لأن ظهور الدولة الإسلامية بهذه القوة يؤثر على نفسية قريش العدو الأول للدولة الإسلامية , ويجعلها تخشى المسلمين على تجارتها .

5- الحرص على إزالة الرهبة النفسية عند العرب الذين ما كانوا يحلمون بمواجهة الروم ، والتأكيد عمليًا للمسلمين بأن رسالتهم عالمية وليست مقصورة على العرب . ورأى بعض المؤرخين كالواقدي ، والذهبي ، ومحمد أحمد باشميل ، وغيرهم أن من أهداف تلك الغزوة إرهاب الروم الذين تقع المنطقة التي وصل إليها صلى الله عليه وسلم بجيشه على حدودهم وعلى مسافة خمس ليالٍ من عاصمة ملكهم الثانية دمشق ، لهذا ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين للخروج وخرج في ألف من أصحابه , وكان يسير الليل ، ويكمن النهار حتى يخفي مسيره , ولا تشيع أخباره وتنقل أسراره ، وتتعقبه عيون الأعداء ، واتخذ له دليلاً من بني عذرة يسمى (مذكوراً) ، وسار حتى دنا من القوم , عندئذ تفرقوا ، ولم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أحداً فقد ولوا مدبرين ، وتركوا نعمهم وماشيتهم غنيمة باردة للمسلمين , وأسر المسلمون رجلا منهم ، وأحضروه إلى الرسول فسأله عنهم ، فقال: هربوا لما سمعوا بأنك أخذت نعمهم ، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام فأسلم وأقام بساحتهم أياماً ، وبعث البعوث ، وبث السرايا , وفرق الجيوش ، فلم يصب منهم أحد , وعاد المسلمون إلى المدينة ، وفي أثناء عودتهم وادع الرسول عيينة بن حصن الفزاري واستأذن عيينة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن ترعى إبله وغنمه في أرض قريبة من المدينة على ستة وثلاثين ميلاً منها .

إن وصول جيوش المسلمين إلى دومة الجندل ، وهي على هذه المسافة البعيدة من المدينة وموادعة عيينة بن حصن للمسلمين ، واستئذانه في أن يرعى بإبله وغنمه في أرض بينها وبين المدينة ستة وثلاثون ميلاً ، أي ما يقرب من خمسة وستين كيلومتراً ، لدليل قاطع على ما وصلت إليه قوة المسلمين ، وعلى شعورهم بالمسؤولية الكاملة تجاه تأمين الحياة للناس في هذه المنطقة ، وأَن هذه المناطق النائية كانت ضمن الدولة الإسلامية ، وإن الدولة أصبحت منيعة ، ليس في مقدور أحد أن يعتدي عليها ، ولو كان ذلك في استطاعة أحد لكان هو عيينة بن حصن الذي كان يغضب لغضبه عشرة آلاف فتى .

كانت غزوة دومة الجندل بعيدة عن المدينة من جهة الشام ، إذ بينها وبين دمشق ما لا يزيد عن خمس ليالٍ ، وقد كانت بمثابة إعلان عن دعوة الإسلام بين سكان البوادي الشمالية وأطراف الشام الجنوبية ، وأحسوا بقوة الإسلام وسطوته , كما كانت لقيصر وجنده ، كما أن سير الجيش الإسلامي هذه المسافات الطويلة قد كان فيه تدريب له على السير إلى الجهات النائية ، وفي أرض لم يعهدها من قبل , ولذلك تعتبر هذه الغزوة فاتحة سير الجيوش الإسلامية للفتوحات العظيمة في بلاد آسيا وأفريقيا فيما بعد .

كان خطة الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة ترمي إلى أهداف عديدة ، فهي غزوة ، وحرب استطلاعية تمسح الجزيرة العربية ، وتتعرف على مراكز القوى فيها ، وهي حرب إعلامية تأتي على أعقاب بدر الموعد ، وتستثمر انتصاراتها ، وهي حرب عسكرية تريد أن تصد هجوماً محتملاً على المسلمين حيث ضوى إليها قوم من العرب كثير يريدون أن يدنوا من المدينة ، وهي حرب سياسية تريد أن تجهض من تحركات القبائل المحتمل أن تتحرك بعد أنباء غزوة أحد لتقصد المدينة وتسبيحها .

**غزوة بني المصطلق :**

بنو المصطلق هم بطن من خزاعة , والمصطلق جدهم , وهو جذيمة بن سعد ابن عمرو بن ربيعة ابن حارثة بن عمرو بن عامر ماء السماء ، اختلف العلماء في ذلك , وانحصرت أقوالهم فيها في ثلاثة أقوال ، فمن قائل إنها في شعبان سنة ست ، قال بذلك ابن إسحاق وخليفة بن خياط ، وابن جرير الطبري ، ومن قال بأنها في شعبان من العام الرابع للهجرة ، مثل المسعودي ، وذهبت طائفة إلى أنها كانت في شعبان من السنة الخامسة، منهم موسى بن عقبة ، وابن سعد ، وابن قتيبة ، والبلاذري ، والذهبي ، وابن القيم ، وابن حجر العسقلاني ، وابن كثير -رحمهم الله- ومن المحدثين الخضري بك ، والغزالي ، والبوطي ، وقد كانت وفاة سعد بن معاذ في أعقاب غزوة بني قريظة ، وغزوة بني قريظة كانت في ذي القعدة من السنة الخامسة على القول الراجح , فيتعين أن تكون غزوة بني المصطلق قبلها .

**ومن أهم الأسباب لهذه الغزوة :**

أ- تأييد هذه القبيلة لقريش واشتراكها معها في معركة أحد ضد المسلمين ، ضمن كتلة الأحابيش التي اشتركت في المعركة تأييدًا لقريش .

ب- سيطرة هذه القبيلة على الخط الرئيسي المؤدي إلى مكة ، فكانت حاجزاً منيعاً من نفوذ المسلمين إلى مكة .

ج- أن الرسول صلى الله عليه وسلم بلغه أن بني المصطلق يجمعون له ، وكان قائدهم الحارث بن أبي ضرار ينظم جموعهم ، فلما سمع بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له: المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل فهزمهم شر هزيمة .

عندما شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحركة بني المصطلق المريبة أرسل بريدة بن الحصيب الأسلمي للتأكد من نيتهم ، وأظهر لهم بريدة أنه جاء لعونهم فتأكد من قصدهم ، فأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك .

وفي يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة خرج الرسول صلى الله عليه وسلم من المدينة في سبعمائة مقاتل , وثلاثين فارساً , متوجهاً إلى بني المصطلق ، ولما كان بنو المصطلق ممن بلغتهم دعوة الإسلام ، واشتركوا مع الكفار في غزوة أحد ، وكانوا يجمعون الجموع لحرب المسلمين ، فقد روى البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أغار عليهم وهم غارون -أي غافلون- وأنعامهم تُسقى على الماء ، فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم ، وأصاب يومئذ جويرية بنت الحارث .

**محاولة المنافقين في هذه الغزوة إثارة الفتنة بين المهاجرين والأنصار:**

خرج في غزوة بني المصطلق عدد كبير من المنافقين مع المسلمين ، وكان يغلب عليهم التخلف في الغزوات السابقة ، لكنهم لما رأوا اطراد النصر للمسلمين خرجوا طمعاً في الغنيمة ، وعند ماء المريسيع كشف المنافقون عن الحقد الذي يضمرونه للإسلام والمسلمين ، فكلما كسب الإسلام نصراً جديداً ازدادوا غيظاً على غيظهم , وقلوبهم تتطلع إلى اليوم الذي يهزم فيه المسلمون لتشفى من الغل ، فلما انتصر المسلمون في المريسيع سعى المنافقون إلى إثارة العصبية بين المهاجرين والأنصار، فلما أخفقت المحاولة سعوا إلى إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم في نفسه وأهل بيته , فشنوا حرباً نفسية مريرة من خلال حادثة الإفك التي اختلقوها ، ولنترك الصحابي زيد بن أرقم وهو شاهد عيان ومشارك في الحادث الأول يحكي خبر ذلك , قال: (كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل ، فذكرت ذلك لعمي , فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فحدثته ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي وأصحابه ، فحلفوا ما قالوا ، فكذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه , فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت ، فقال لي عمي: ما أردت إلا أن كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك؟ فأنزل الله تعالى: (إذا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) [المنافقين: 1] فبعث إليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ، فقال: «إن الله قد صدقك يا زيد» .

ويحكي شاهد عيان آخر هو جابر بن عبد الله الأنصاري ما حدث عند ماء المريسيع ، وأدى إلى كلام المنافقين لإثارة العصبية وتمزيق وحدة المسلمين ، قال: (كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين ، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما بال دعوى الجاهلية؟» ، قالوا: يا رسول الله ، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال: «دعوها فإنها منتنة» فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال: فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دعه ، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» .

وفي رواية قال عمر بن الخطاب: مُرْ به عباد بن بشر فليقتله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، لا ، ولكن أذن بالرحيل» ، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها ، فارتحل الناس ، وقد مشى عبد الله بن أبي ابن سلول إلى رسول الله حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمعه منه ، فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به ، فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه ، فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم، لقيه أسيد بن حضير، فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال: يا نبي الله لقد رحت في ساعة منكرة ، ما كنت تروح في مثلها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أو بلغك ما قال صاحبكم؟» ، قال: وأي صاحب يا رسول الله؟ قال: «عبد الله بن أبي؟» قال: وما قال؟ قال: «زعم إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» ، قال: فأنت يا رسول الله تخرجه منها إن شئت ، هو الذليل وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله ، ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه , فإنه يرى أنك استلبت ملكه ، ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً ، وإنما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس ، من حديث عبد الله بن أبي ، ونزلت السورة التي ذكر فيها المنافقون في ابن أبي ومن كان على مثل أمره ، فلما نزلت أخذ رسول الله بأذن زيد بن أرقم ، ثم قال: هذا الذي أوفى الله بأذنه ، إن هذه الحادثة من السيرة النبوية العطرة مليئة بالدروس والعبر.

**حادثة الإفك :**

حاك المنافقون في هذه الغزوة حادثة الإفك ، بعد أن فشل كيدهم في المحاولة الأولى لإثارة النعرة الجاهلية ، فقد ألمت بالبيت النبوي هذه النازلة الشديدة والمحنة العظيمة التي كان القصد منها النيل من النبي صلى الله عليه وسلم ومن أهل بيته الأطهار، هذا وقد أجمع أهل المغازي والسير على أن حادثة الإفك كانت في أعقاب غزوة بني المصطلق ، وتابعهم في ذلك المفسرون ، والمحدثون .

وقد أخرج البخاري ومسلم حديث الإفك في صحيحيهما ، وهذا سياق القصة من صحيح البخاري: قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه , فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه .

قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي , فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما نزل الحجاب فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك , وقفل ودنونا من المدينة قافلين ، آذن ليلة بالرحيل , فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش , فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فإذا عقد لي من جَزْعِ ظَفَارٍ قد انقطع ، فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه ، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي ، فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت ، وهم يحسبون أني فيه ، وكان النساء إذ ذاك خفافًا لم يثقلهن اللحم, إنما نأكل العُلقة من الطعام , فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه ، وكنت جارية حديثة السنة فبعثوا الجمل، وساروا , فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيب , فأقمت منزلي الذي كنت فيه ، وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إليَّ ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلي , فرأى سواد إنسان نائم ، فأتاني فعرفني حين رآني وكان يراني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني , فخمرت وجهي بجلبابي والله ما كلمني كلمة ، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه , حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها , فانطلق يقود بي الراحلة ، حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة , فهلك من هلك ، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول .